الاستبداد الأموي دراسة تاريخية

أ.د.سامي جودة الزيدي
جامعة ذي قار – كلية الاثار

الملخص

يراد بالاستبداد استبداد الحكومات، عندما يطغى الظلم الى اعلاه، ويستبد الحاكم في حكم رعيته، بالاضطهاد والعنف واستباحة الدماء، ولعلنا نجد الخطاب دليلا واضحا في استخدام اسلوب الاستبداد مع الناس، وعند قراءة خطاب الامويين السياسي، يلاحظ بوضوح مدى القسوة التي كانت بارزة في الخطاب والتعنيف الدائم للناس، من خلال استخدام اسلوب التخويف وتكتيم الافواه، الاستبداد تحول سياسي يحدث نتيجة الفوضى، النتيجة الطبيعية لغياب القانون، او وصول فرد ما في غفلة من الزمن الى دفة الحكم، ينفرد بالسلطة ويحولها ـ بما يمتلكه من قوة ونفوذ وما يسلبه من مال ـ الى صالحه ويصبح هدفه تحقيق مصالحه وغاياته، لا مصالح الناس وغاياتها، عند ذاك ، تسلب الارادة ، وتذل الكرمة ،ويسترق الناس ، ويسيد على رقابهم. والأدهى من ذلك عندما يرتدي المستبد رداء الدين ويسيد على الناس ، ويستمد من النصوص الدينية ما يبرر سلوكه وما يشرعن له افعاله ، يعينه في ذلك مجموعة من فقهاء السلطة ووعاظهم ، ولعل ذلك ما حدث في تأريخنا الاسلامي السياسي ، اذ استبد في الحكم خلفاء حكموا باسم الدين ورفعوا الاسلام شعار لهم ، متخذين من تأويل بعض النصوص دليلا على شرعية حكمهم ، يدعمهم في ذلك فتاوى الفقهاء المرتزقة . لقد حاول هذا البحث تتبع الخطاب الاموي طول فترة الحكم الاموية لبيان مدى القسوة والتعنيف الذي مورس بحق الناس .

Umayyad tyranny, a historical study

Prof. Dr. Sami Joud Al-Zaidi
Dhi Qar University - College of Archeology

Abstract

Despotism means the tyranny of governments, when injustice prevails above, and the ruler is oppressive in the rule of his subjects, with persecution, violence and the profanation of blood. Permanent people, through the use of the method of intimidation and silence, tyranny is a political transformation that occurs as a result of chaos, the natural result of the absence of law, or the arrival of an individual in the absence of time to the helm of government, who is alone with power and transforms it - with what he possesses in terms of power and influence and what he robs of money - into His interest and his goal becomes the realization of his interests and goals, not the interests and goals of the people, at that point, they rob the will, humiliate the karma, enslave people, and rule over their necks. What is worse than that when the tyrant wears the robe of religion and dominates the people, and derives from religious texts what justifies his behavior and what legitimizes his actions, appointed by a group of jurists and their preachers in this, and perhaps that is what happened in our Islamic political history, since the rule was tyrannized by caliphs who ruled in the name of religion. They raised Islam as a slogan for them, taking the interpretation of some texts as evidence of the legitimacy of their rule, supported by the fatwas of the mercenary jurists. This research has attempted

to trace the Umayyad discourse throughout the period of the Umayyad rule to show the extent of cruelty and violence that was practiced against people..

المقدمة :

عرف تاريخ البشرية انواع متعددة من الانظمة الاستبدادية، وحُكم الناس بقوة الحديد واستخدم البطش والارهاب بحقهم ، وكان المسلمون من بين تلك الشعوب التي خضعت الى حكام مستبدين بعد ذهاب عصر الصحابة الاوائل، فقد جاء الامويون الى سدة الحكم ولم يكونوا مؤهلين لذلك ، اذا لم يكونوا من السابقين الى الاسلام ، ولم يعرفوا الشريعة جيدا، وكان همهم الاول والاخير السيطرة على رقاب الناس وتسيسهم بجبروت وقوة .

فقد شهد عصر بني امية سلوكيات سياسية مخالفة للشريعة، وما جاء به النبي(ﷺ) من تحرير الناس من العبودية والخضوع الى اقرانهم من البشر، حيث اعلن ان الانسان لابد من يكون عبدا لله وحده. الا ان بني امية ابوا الا استعباد الناس والتسلط على رقابهم.

لقد كان الطغيان الاموي واضحا في كل تفاصيله واحداثه، ولقد عانى الناس ما عانوا من البطش وسلب الحريات والقهر والاعتداء على كرامتهم واذلالهم بالقوة والاكراه. اذ نجد ان بني امية استخدموا في تنفيذ مشروعهم الاستبدادي اقسى الولاة والقادة، ومنحوهم صلاحيات واسعة في القتل والتجريم .

كما عملوا على تكميم الافواه ومطاردة خصومهم السياسيين والمختلفين معهم في الفكر والمذهب، وبذلوا في سبيل ذلك المال وتقريب بعض الشخصيات من اجل كسب ولائهم، والاستعانة بهم في ابقاء حكم بني امية قائما.

الاستبداد لغة واصطلاحا

لغة: استبد بالأمر يستبد استبدادا، إذا تفرد به دون غيره ([1]) عن ابن السكيت: (افتأت فلان بأمره، إذا استبد به([2]) وستأثر فلان بالشيء إذا استبد به وانفرد به ولا يشاركه احد ([3]) وفي حديث الإمام علي (ع) كنا نرى ان لنا في الأمر حقا فاستبددتم علينا) أي تفردتم به ([4]) فالاستبداد التفرد بالرأي دون الاستماع إلى رأي آخر أو مشاركته ، والاستبداد يؤدي إلى الهلاك ففي قول الإمام علي (ع): (من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركهم في عقولهم ([5]) .

اصطلاحا :

يراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة لأنها مظاهر أضراره التي جعلت الناس أشقى ذوي الحياة([6]) . والاستبداد السياسي هو تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم وبلا خوف ولا تبعية ([7]) . ويأتي الانفراد بالسلطة من أسوء حالات الاستبداد إذ المستبد يعمل على تسليط قوته ونفوذه لسلب إرادة الامة وقهرها وغلبتها حتى يصل بها الطغيان أعلى مراتب الاستبداد .

الاستبداد تحول سياسي يحدث نتيجة الفوضى، النتيجة الطبيعية لغياب القانون، او وصول فرد ما في غفلة من الزمن الى دفة الحكم ، ينفرد بالسلطة ويحولها ـ بما يمتلكه من قوة ونفوذ وما يسلبه من مال ـ الى صالحه ويصبح هدفه تحقيق مصالحه وغاياته ، لا مصالح الناس وغاياتها ، عند ذاك ، تسلب الارادة ، وتذل الكرمة ،ويسترق الناس ، ويسيد على رقابهم . (والسلطة المستبدة هي التي تمارس حكم الناس دون ان تكون هي ذاتها خاضعة للقانون ، فالقانون في نظر هذه السلطة قيد على المحكومين دون ان يكون قيداً على الحاكم ... ومن هنا ففي وسع هذه السلطة ان تتخذ ما تشاء من إجراءات أو مواجهة الإفراد لمصادرة حرياتهم أو ممتلكاتهم)[8] . ثم يتحول المستبد الى طاغية وظالم ويتحول الشعب الى جزء من ممتلكاته .

والأدهى من ذلك عندما يرتدي المستبد رداء الدين ويسيد على الناس ، ويستمد من النصوص الدينية ما يبرر سلوكه وما يشرعن له افعاله ، يعينه في ذلك مجموعة من فقهاء السلطة ووعاظهم ، ولعل ذلك ما حدث في تأريخنا الاسلامي السياسي ، اذ استبد في الحكم خلفاء حكموا باسم الدين ورفعوا الاسلام شعار لهم ، متخذين من تأويل بعض النصوص دليلا على شرعية حكمهم ، يدعمهم في ذلك فتاوى الفقهاء المرتزقة .

ان الكثير من صفحات التاريخ الإسلامي تحمل بؤساً، حتى نتجاوزه لا يمكن ان نخفيه لان إخفاء الشيء لا يعني إزالته . بل علينا ان نستوعبه بكل تفاصيله ، ان كنا جادين فعلاً في تخطي ذلك البؤس إلى تحديد هويتنا الانسانية لنؤشر بأقلامنا على صور الجلادين والمنحرفين والطغاة والمستبدين ، ونعلن البراءة منهم ، وليس جميلاً ان نعلن حصانتهم تحت أي ذريعة أو عذر ، لان شجرة الطغيان التي بذر بذرتها الأمويون ومن بعدهم العباسيون وسقوها بدماء الأبرياء ،لابد من قطعها ، بل لابد من إيقاف سقياها بعد ان استظل بظلها الطواغيت وأكل ثمارها الجلادون .

صحيح ان (الفردية والاستبداد) قد عرفها تاريخ الانسانية كلها وعلى اختلاف المواطن والقوميات والحضارات، لعنة اكتوت بنارها كل الشعوب ، لكنها في ظروف امتنا الإسلامية تبرز عوراتها أكثر ، ويبدو شذوذهما أقبح[٩] .

عد الإسلام العدل فريضة واجبة على أولياء الأمور، من الولاة والحكام، اتجاه الرعية المتحاكمين: (ان اللهَ يَأْمُرُكُمْ ان تُؤدُّواْ الأَمَاناتِ إِلَى أَهْلِهَا وَاذا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ ان تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ ان اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ان اللهَ كَان سَمِيعاً بَصِيراً) [١٠] .

فقد كان طبيعياً ان نرى موقف الإسلام الواضح ضد الظلم متسماً بالشمول ، فالعدل واجب على الكافة اتجاه الكافة .. ومن ثم كان الظلم حرام على الجميع إزاء الجميع[١١]. بل ان الله عز وجل يحرم الظلم على نفسه ، ففي الحديث القدسي : (اني حرمت على نفسي الظلم وعلى عبادي ، ألا فلا تظلموا ...)[١٢] .

والإسلام لا يقف من الظلم عند هذه الحدود .. حدود التحريم والتحذير والتخويف ، بل يذهب فيوجب على المسلم التصدي للظلم بالمنع والإزالة ، والتصدي للظلم بالمقاومة ، حتى يتطهر مجتمع الإسلام من دنس الظلم والظالمين ، فالجهر بالسوء وإعلان السلبيات وكشف ما لا يحسن كشفه ، بنظر الإسلام منكر يجب ان يبرأ منه لسان المؤمن وتعف عنه أجهزة إعلامه ، لكن اذا تعلق الأمر بالسوءات والسلبيات والمظالم والجرائم التي يرتكبها الظلمة وأهل الجور ، فلا حرمة لهم في هذا المجال[١٣] ، ففي قوله تعالى : (لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَان اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً)[١٤] .

الشريعة الإسلامية نظمت العلاقة ما بين الحاكم والمحكوم فجاءت بنمط جديد يحفظ للناس كرامتهم وانسانيتهم ، وجعلت العلاقة مصلحة الجماعة ،وألغت مبدأ القوة في سياسة الناس، وحددت صلاحيات الحكام ، ولم تتركها مطلقة ، بل طوقتها بقيود الشريعة ونصوصها ، طبقا لقوله تعالى:(وَان احْكُم بَيْنَهُم بِمَا انزَلَ اللهُ)[١٥] . وقوله عزو جل : (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا انزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[١٦] . وقوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[١٧] .

وقال رسول الله(ﷺ):(اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فأشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فأرفق به)[١٨] . وقال(ﷺ) : (ان أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وان ابغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر)[١٩].

ان هذا الإلزام الذي حددته الشريعة للحاكم بعدم الخروج عن أحكامها ،جعلته كأي فرد في المجتمع فهي لا تميزه من غيره ، فهو يحاسب على أعماله وتصرفاته ،ويحاسب رعاياه من أبناء الأمة وان من حق الأمة ان تعزل

حاكمها متى رأت انه انصرف عن خط الشريعة المرسوم له إلى غيرها ففي قول رسول الله (ﷺ) : (من أمركم منهم بمعصية الله فلا تطيعوه)[٢٠] . وعن عبد الله بن مسعود قال : (ان النبي (ﷺ) قال : (سيلي أموركم بعدي رجال يطفون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها: يا رسول الله ، ان ادركتهم ، كيف افعل؟ قال (ﷺ) : تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل ؟ لا طاعة لمن عصا الله)[٢١] .

وقال أبو بكر (ﷺ) في خطبة له بعد مبايعته بالخلافة: (اني وليتكم ولست بخيركم، فان احسنت فأعينوني، وان أسأت فقوموني... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)[٢٢] .

وكان الخلفاء الراشدون اذا أرادوا إحداث تغير معين، بدأوا بأنفسهم وأهاليهم، فقد روي ان عمر (ﷺ) اذا أراد ان ينهي الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: (لا أعلمن أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة)[٢٣] .

وخطب عمر(ﷺ) في المسجد خطبة معروفة ومشهورة نهي فيها عن المغالاة في المهور فاعترضته امرأة فقال: (أصابت امرأة وأخطأ عمر)[٢٤] .

وكانوا يتابعون سيرة عمالهم ، ويوصونهم بالسيرة الحسنة في الرعية ، ويحاسبونهم على تجاوزاتهم ، ويجعلون عليهم العيون حتى لا يستبد احد منهم على أهل ولايته ، فقد كان عمر بن الخطاب (ﷺ) يحاسب عماله ويتفقد أمورهم ويسترجع مال الله تعالى ولا يولهم أكثر من سنة ، ويلين لمن خنع منهم ، ويعنف على من يتجبر ثم ينزل إلى تدبير أراءهم وأمر متاجرهم وأولادهم وضياعهم ويقول لهم : (تمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب، وانزوا على الخيل نزوا واحفوا وانتعلوا فأنكم لا تدرون متى تكون الجفلة)[٢٥] .

خطب عمر بن الخطاب (ﷺ) فقال : (اني لم ابعث عمالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم فمن فعل به ذلك فليرفعه إلي أقصه منه فقال عمرو بن العاص لو ان رجلا أدب بعض رعيته تقصه منه ؟ قال : أي والذي نفسي بيده أقصه وقد رأيت رسول الله(ﷺ) قص من نفسه ، إلا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم)[٢٦] .

وكانت وصايا الامام علي (ع) لعماله التقيد في سياسة الرعية واتباع العدل والمساواة بينهم حتى نجده يتشدد في ذلك من خلال قوله لاحد عماله : (فأخفض لهم جناحك ، وألن لهم جنابك ، وأبسط لهم وجهك ، وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم ...)[٢٧] .

ان الالتزام بقواعد الشريعة ومنظومتها الحقوقية لم يستمر طويلا فقد طرأ تجاوز على مبادئ وأحكام الشرع الإسلامي منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) بعد ان أطلق يد بني أمية وتسلطوا على رقاب الناس.

الاستبداد في العصر الأموي (العصر السفياني):

بدأ ظهور الاستبداد والاضطهاد وتجذره في المجتمع الإسلامي ، منذ استطاع معاوية ان ينحى بالسلطة منحى جديداً ، ويؤسس لدولة ملكية على غرار دول الأكاسرة والقياصرة وخلق نظام جديد مبني على التفرد بالرأي ، والتوريث في الحكم يمكن ان يصطلح عليه بالنظام الملكي فقد قال معاوية :(انا أول الملوك)[٢٨] . وقد وصف الجاحظ[٢٩] ذلك فقال : (وفي العام الذي سموه عام الجماعة وما كان عام الجماعة بل كان عام فرقة وقهر وغلبة والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة غصباً قيصرياً) .فقد شكل هذا الفكر نقطة التحول من الديني إلى الزمني في الحكم ، ومن الشريعة الإلهية الشاملة في الإحكام إلى الوضعية الانسانية القاصرة عن الإحاطة والشمول .

فقد كانت دماء الناس وأموالهم وأعراضهم عند الحكام منيطة بكلمة يلفظونها اقطعوا لسانه ويديه ورجليه واضربوه ألف سوط ، وارموه من شاهق واصلبوه ، واحرقوه ، فينفذ ذلك فورا دون تهمة ثابتة أو محاكمة عادلة ، انما هي مزاجية الحاكم . فقد كان الولاة والعمال يتقربون إلى الخلفاء والأمراء بقتل الأبرياء ، ونفيهم عن أوطانهم وتعذيبهم في السجون وقطع أيديهم وأرجلهم .

فقد شكلت الاستبدادية التي خلقها بني أمية وورثها بني العباس مرض السلطة المزمن في الأمة حتى ألقت بظلالها على جميع أحوالها الحياتية ، فمنذ ان رفع أبو سفيان صوته قائلا :(تلقفوها يا بني أمية تلاقف الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان ، ما من عذاب ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة)[٣٠] ثم مال إلى قبر حمزة بن عبد المطلب فركله برجله قائلا :(يا حمزة ان الأمر الذي كنت تقاتلنا بالأمس عليه قد ملكناه اليوم وكنا أحق به من تيم وعدي)[٣١] . فقد شكل ذلك بذرة الاستبداد الأولى ونواة اضطهاد الأمة الذي لازمها بعلة مستديمة طوال عهودها .

لقد حسمت الدولة الأموية الموقف تماماً ، فقضت على بذور الحريات ومنعتها من النماء وأخذت النزعة الاستبدادية في الإقبال والإيغال :(وصارت الخلافة ملكاً عضوضاً ، أي فيه عسف وعنف)[٣٢] .

فبعد ان استولى معاوية (٤١ .٦٠هـ /٦٦١.٦٨٠م) على الملك واستبد بالأمر ، وغلب بالقهر والجبر والقوة فصارت الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة عضباً قيصرياً[٣٣] . بدأت خطوط التجاوزات على الحريات تظهر وبشكل علني ، لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل انحراف السلطة عن المنظومة الإسلامية الحقوقية ، وهذا المعنى يصوره الجاحظ[٣٤] بقوله : (وليس قتل حجر بن عدي[٣٥] ، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر وبيعته يزيد الخليع والاستئثار بالفيء واختيار الولاة على الهوى وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة من جنس جحد الإحكام المنصوصة والشرائع المشهورة والسنن المنصوبة)

فقد تصور بني أمية ان القوة هي السبيل الوحيد لتحقيق غايتهم في الوصول إلى السلطة ، بل هي وحدها التي أجلست معاوية على عرش الحكم ، وتأكيداً لهذا يطالعنا قول معاوية عندما صعد على المنبر ليرد على من قال له مهنئاً (الحمد لله الذي اعز نصرك وأعلى كعبك) . فقال : (أما بعد فاني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ولكني جادلتكم بسيفي هذا مجادلة)[٣٦] .

هنا تبدأ البداية ، ويبدأ انفصال الواقع عن المثال ، ليعلن منعطفاً خطيراً في مسيرة الأمة فيقول : (ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة ، واردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ...)[٣٧] . وهو إعلان بتحول خطير عن مبدأ العدالة التي سار عليها من سبقوه بل ورفض صارخ لسيرتهم التي أبت نفسه ان تقبلها ولابد له من إتباع سياسة جديدة مختلفة كل الاختلاف عن سيرة بعض الخلفاء الراشدين والتي سنجدها واضحة في خطابه الذي أعلنه بعد ان استولى على الخلافة اذ قال : (اني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا انكم لتفعلون ذلك ، انما قاتلتكم لا تأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وانتم كارهون)[٣٨] . فلا يوجد أدنى شك في ان معاوية بدأ بتأسيس دولة ملكية مطلقة على غرار الملكيات المستبدة ، وهذا يعني ان الأمويين بدءاً من معاوية كانوا يمسكون بقبضة من حديد لتدعيم ملكهم باستخدام مختلف الأساليب ، ولعل القوة افضحها ، والتي أصبحت أسلوبا سياسيا لتحقيق أهداف السلطة وبث الخوف في نفوس الناس .

كان الاستبداد واضح في خطب معاوية ووصاياه الى عماله فقد اوصى المغيرة بن شعبة بعد ان عينه واليا على الكوفة بوصايا من جملتها : ان لا يمتنع عن شتم علي (ع) وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب علي ، والإقصاء لهم ، وترك الاستماع لهم (٣٩) .ومن الملاحظ أن معاوية مارس سياسة الإقصاء

ضد المخالفين له ، ولعل من آثار هذه السياسة أن زرع بذور التفرقة في المجتمع على أساس الانتماء الفكري ، فصار أنصار علي (ع) مطاردون محاصرون مهمشون مسلوبو الحقوق ، بينما غيرهم يتمتعون بحقوقهم لأنهم من الحزب الأموي .

لم يكن التجاوز على الحريات وسلب الإرادة والاستبداد مقتصراً على الخلفاء إنما شمل الولاة والعمال وأصحاب المناصب الأخرى في الدولة ، وكل ذلك كان جراء الصلاحيات الواسعة التي كان الخلفاء يمنحونها لولاتهم في التصرف بأمور الرعية . فلنقرأ هذه الصلاحية التي منحها معاوية لسفيان بن عوف[٤٠] ، حين أرسله لمداهمة ارض العراق (فأقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك ، وأخرب كل ما مررت به من القرى)[٤١]

أما صلاحيته لبسر بن ارطأة[٤٢] ، فهي أوسع من ذلك فقد قال له : (سر حتى تمر بالمدينة فأطرد الناس واخف من مررت به وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا ... وارهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة واجعلها شرداً ...)[٤٣] بل ان من جملة وصاياه (واقتل شيعة علي حيث كانوا)[٤٤] علما ان بسر لم يكن محتاجاً لهذه الوصايا فقد قال عنه ابن أبي الحديد[٤٥] (وكان قاسي القلب فظاً سفاكاً للدماء لا رأفة عنده ولا رحمة) .

ان سياسة معاوية في قتل الأبرياء كانت مبنية على تسليط الولاة القساة على الأمة ومنحهم صلاحيات واسعة في القتل والإرهاب ، فقد كان بسر بن أرطأة من جملة عمال معاوية ، محبا لسفك الدماء وارتكاب المحرمات حتى وصف بانه (قاسي القلب ، فظا سفاكا للدماء ، لا رأفة عنده ولا رحمة)[٤٦] . أرسله معاوية إلى اليمن وطلب منه قتل شيعة علي (عليه السلام)[٤٧] . وأكد ذلك ابن أبي الحديد[٤٨] بقوله: (بعثه معاوية بجيش كثيف وأمره ان يقتل كل من كان في طاعة علي (عليه السلام) فقتل خلقا كثيراً) ، وهذا يدلل على مدى طغيان السلطة في قتل الأبرياء ، لان الصلاحية لم تكن قد حددت بمن عارض السلطة أو خرج عليها إنما كانت صلاحية واسعة شملت الأبرياء والمعارضين من شيعة علي (عليه السلام) لسلطة معاوية .

وهذا يحمل دلالة التصفية الشاملة لفئة من الناس بمجرد الولاء دون معارضة فضلاً عن القتل فقد أوصى معاوية بسر بإتباع سياسة الإرهاب والتشريد فقد قال له : (سر حتى تمر بالمدينة فأطرد الناس وأخف من مررت به ...وأرهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة واجعلها شردا)[٤٩] وهذا النص يبين التأسيسات الأولى لثقافة العنف والإرهاب التي ما زال العالم الإسلامي يتحمل ويلاتها ولا زالت دماء الأبرياء تسيل بمجرد الاختلاف في الرأي والاعتقاد ، ولا زال الإقصاء والتهميش والحذف سياسة تتبع في تصفية المختلف

ولما أنهى بسر عمليات الإبادة في المدينة ومكة . مستجيبا لأوامر قيادته ومرضيا لنفسه الخبيثة . أتجه صوب اليمن لإكمال مهمته فكان في طريقه يقتل كل من شايع علي (عليه السلام)[٥٠] واستمر بسر بارتكاب المخازي وعظائم الأمور بحق المسلمين فضلا عن المسلمات فقد سبي النساء المسلمات وعرضهن في الأسواق ، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام[٥١] فكان يكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقا اشتريت لعظم ساقها ، وقد سمي هذا اليوم يوم العورة الذي كان أبو ذر يتعوذ منه[٥٢] .

هذه أمثلة من الصلاحيات التي كان معاوية يمنحها لولاته وعماله وقواد جيشه ،وكان يختار لتلك المناصب والمهام من لديهم القدرة على البطش والإرهاب والقتل دون ادني سبب ، وهذا بحد ذاته مخالفة صريحة لمبادئ الشريعة الإسلامية التي تحث على اختيار الولاة من العلماء والصالحين وأصحاب الكفاءة ، فقد قال ابن جماعة[٥٣] : (حق الرعية على الحاكم فصل القضايا والأحكام بتقليد الولاة لقطع المنازعات بين الخصوم وكف الظالم عن المظلوم ولا يولي ذلك إلا من يثق بديانته وأمانته وصيانته من العلماء والصلحاء والكفاءة النصحاء ولا

يدع السؤال عن أخبارهم والبحث عن أحوالهم ليعلم حال الولاة مع الرعية فانه مسؤول عنهم مطالب بالجناية منهم قال رسول الله (ﷺ) : كل راع مسؤول عن رعيته) .

اعتمد الأمويون على عدة نظريات بررت لهم حكمهم للناس وشرعنة استيلاءهم على السلطة :

الأولى: ان الخلافة حق من حقوقهم ورثوها عن عثمان بن عفان الذي نالها بالشورى، وقد قتل عثمان مظلوما وإنها عادت إليهم، بعد ان جاهدوا من اجلها، وهذا الفكرة نجدها في قول الشاعر الفرزدق لعبد الملك بن المروان:

تراث عثمان كانوا الأولياء له سربال ملك عليهم غير مسلوب

وقوله للوليد :

كانت لعثمان لم يظلم خلافتها فأنتهك الناس منها أعظم الحرم [٥٤]

الثانية : أشاعوا بين أهل الشام أنهم استحقوا الخلافة لقرابتهم من رسول الله (ﷺ) فقد كان الشيوخ من أهل الشام يقسمون لأبي العباس السفاح (انهم ما علموا لرسول الله (ﷺ) قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية ، حتى وليتم الخلافة ...)[٥٥] .

الثالثة : ثم أنهم اوجدوا لهم نظرية دعموا فيها حكمهم الاستبدادي ، متمثله بأنهم خلفاء الله وان الله اختارهم لذلك بتفويض منه ، فهم يتصرفون بمشيئته، وهي ما تسمى بنظرية الجبر، فكان معاوية في نظر أنصاره (خليفة الله على الأرض) وكان يزيد (إمام المسلمين) وكذلك عبد الملك بعده [٥٦]. وكان معاوية يصرح بذلك علانية فقد قال : (الارض لله وانا خليفة الله ، فما آخذ من مال الله فهولي وما تركت منه كان جائزا لي) [٥٧] . الواضح ان معاوية يدعي ان حكمه بتفويض الهي ، وانه خليفة الله على الارض وكل ما على الارض ملكا له ، فالذي آخذ من مالها الذي هو مال الله ، فهو لمعاوية كونه خليفته ووكيله على الارض ، وما ترك فله حق التصرف به من باب كونها المستخلف الالهي، وهنا يحاول معاوية ان يرسي مبدأ جديد لنظرية (الملكية الخاصة للارض وما عليها) التي يدعي فيها انه يملك الارض وما عليها جميعا وهذا الحق انما جاءه من مبدأ التفويض الالهي له في الاستخلاف .

الرابعة: التبرير والتأويل الشرعي إذ حاول الأمويون إضفاء الشرعية على حكمهم من خلال إيجاد ما يبرر أفعالهم وتوجهاتهم نحو الاستبداد فقد برر معاوية ولاية العهد لابنه يزيد من بعده بقوله: (اني خفت ان اذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع) [٥٨] .

اعتمدت الدولة الأموية لبسط سلطانها على المسلمين عامة والعرب خاصة على ثلاث وسائل هي، المال، والعنف، والتضليل الإيديولوجي، وكان هذا الأخير من أكثر الوسائل التي اعتمد عليها معاوية لكسب ود الناس [٥٩].

وكان زياد بن أبيه ، من ولاة معاوية ، مارس سياسة انتقامية تنم عن حقد دفين وعن جرأة لا متناهية على دماء الناس ، إذ حصب ذات يوم وهو على منبر الكوفة ، فأمر بالأبواب أن تغلق وجلس وعرض الناس عليه ، فمن حلف تركه ، ومن أبى قطع يده ، فقطع يومئذ ثمانين يداً[٦٠] . الحاكم في عرف هولاء أعلى من البشر لا يمكن أن يعترض عليه ، كما يمنع التعبير عن الرأي باللسان ، فكيف يسمح بان يضرب بالحصى ، كجزء من التعبير عن الرفض .

امتلك زياد صلاحيات مطلقة في فرض السياسة التي يراها مناسبة في تكميم الأفواه ، وكان يمثل سياسة الدولة ، وصوتها الناطق ، وسيفها الضارب ، فلا يوجد أي معترض على ذلك ، وان وجد فان عقوبته كانت قد حددها له زياد مسبقاً إذ قال : (إنما هو زجر بالقول ، ثم ضرب بالسوط، ثم الثالثة التي لا شوى لها ، فلا يكونن لسان

أحدكم شفرة تجري على أوداجه ، وليعلم إذا خلا بنفسه إني قد حملت سيفي بيده ، فان شهره لم اغمد ، وان غمده لم أشهره)[٦١] . فلعل قول الجاحظ[٦٢] فيه انه (كان يدفن الناس أحياء) قولاً مخيفاً ، فمن أين له صلاحية دفن الناس أحياء ، أن كانت من أسيادة ، فمن أين لهم ذلك ، فليس للسيد دفن عبده حيا ، فما بالك والناس أحرار ، إلا إذا قلنا أن هولاء ملكوا الرقاب فصارت حياة الناس وموتهم مرهونة برضا السلطان وغضبه .

تميزت سياسة زياد بن أبيه بأنها نوع جديد لم يعرف به المسلمين . فقد اخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا[٦٣] . فقد قال في خطبته البتراء التي ذاع صيتها حتى تناقلتها المصادر : (لأخذن الوالي بالمولى والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي)[٦٤] . وفي رواية قال : (والله لأخذن البرئ بالسقيم والمطيع بالعاصي والمقبل بالمدبر حتى تلين لي قناتكم وحتى يقول القائل انج سعد فقد قتل سعيد)[٦٥] . فقد حدد زياد منهجه في سياسة الناس دون التميز بين البريء والجاني فهم جميعا تحت طائلة العقوبة فبمجرد التهمة أو الظن يقتل الرجل ويتعرض لأقسى العقوبات .

لذلك اصدر زياد بيانا عاما حظر فيه التجوال بعد صلاة العشاء وأمهل الناس شهرا ، وبعدها يبدأ بتطبيق عقوباته مع ان الناس لم تكن واثقة من تطبيق هذا الوعيد . لانها لم تتعود مثل هذه السياسة . إلا ان زياداً بعد مدة التأجيل بدأ بتطبيق عقوباته بحق الأبرياء والمخالفين على السواء ، وقد جند لهذا الغرض أربعة ألاف شرطي يطوفون في سكك البصرة ليلا يقطعون رأس كل من خالف أمره[٦٦] .

ومن نتائج هذه القوانين العرفية المشددة استطاع زياد ان يخضع البصرة لسلطانه . وعلى الرغم من انه قضى على كثير من مظاهر الفساد حتى ساد الأمن في البصرة ونواحيها (حتى ان الشيء ليسقط من الرجل فلا يعرض له احد حتى يأتي له صاحبه فيأخذه وأصبحت المرأة تبات في بيتها دون ان تغلق عليها بابها)[٦٧] بعد ان كانت تستغيث من اعتداءات المجرمين واللصوص فلا تغاث .

لكن هذه الإجراءات جميعها لم تكن هي بعينها السياسة التي يرغب الإسلام بتطبيقها لانها كانت مخالفة ومتجاوزة على تعاليمه ، فعلى ذكر حظر التجوال الليلي الذي فرضه زياد ، جئ برجل وجده الشرطة يتجول ليلا فقال له زياد :(هل سمعت النداء) . أي منع التجوال ليلا . قال : (لا والله قدمت بحلوبة لي وغشيني الليل فاضطررتها إلى موضع فأقمت لأصبح ولا علم بما كان من الأمر) . قال زياد : (أظنك والله صادقا ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة) ثم أمر به فضربت عنقه[٦٨] . فهل صلاح الأمة بقتل الأبرياء وإرهابهم ، ولعل جذور الإرهاب السياسي كانت قد تشكلت في الدولة العربية الإسلامية من تلك الممارسات المنحرفة الشاذة عن تعاليم الإسلام وقيمه السامية ومبادئه السمحة .

وكان زياد يستخلف سمرة بن جندب [٦٩] على البصرة ، اذ يقضي ستة أشهر في البصرة ومثلها في الكوفة ، وقد ضمت إليه بعد موت المغيرة بن شعبة [٧٠] وقد أكثر سمرة القتل في البصرة ، حتى قتل في غيبة زياد ثمانية ألاف،فقال له زياد : (أما تخاف ان تكون قتلت بريئا ؟) فقال سمرة : (لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت)[٧١] . مع اننا لا نتفق ان السائل له زياد اذ ان زياداً نفسه كان يفعل فعله في الأبرياء . إلا اذا كان سؤاله من باب الاستفسار عن الشيء لا أكثر . كما ان العدد لا يخلو من المبالغة إلا انه يشير ويؤكد على الإسراف في القتل .

وقال أبو السوار العدوي [٧٢] : (قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين كلهم قد جمع القران) [٧٣] .

فهذا الوالي لا يخشى ان كان قتل ثمانية ألاف أخرى غير الذين قتلهم وان كانوا أبرياء ، لان الإجرام قد تمكن منه حتى صار القتل من ممارساته اليومية التي يتلذذ بها ، فان شخصاً يقتل في غداة سبعة وأربعين ، هل يشعر بعد ذلك إن في جوفه قلباً . وان كان فهل يمكن إن يحمل شيئا من الرحمة ،أو العاطفة الإنسانية . وكان من

المفروض ان يكون الحاكم ، ارحم الناس بالمحكومين ، ويتعامل معهم في رحمة ولين ويقيم العدل والقسط ، ويدافع عن المظلومين . وينصف الأبرياء لا إن يقتلهم .

وقد خرج سمرة بن جندب بحرسه في طرق البصرة ، وخرج رجل من بعض الأزقة فتلقى الخيل فطعنوه وهم في طريقهم وقتلوه ، فمر عليه سمرة وهو يتشحط في دمائه ، فسأل عنه فقيل له رجل أصابته أوائل الخيل فقال : (إذا سمعتم بنا قد ركبنا ، فاتقوا أسنتنا)[٧٤] . وهذا الخطاب يمثل أعلى درجة من درجات الطغيان والاستبداد السلطوي ، الذي يجعل الحاكم فوق الشعب ، وعلى الشعب ان ينظر إلى الحاكم نظرة القداسة ، وكأنه يتشبه بمواكب القياصرة التي تنحني لها الشعوب عبودية .

وهنا يتعامل السلطان مع مملكته تعامل المالك مع أشيائه وممتلكاته ، ويكون الفرد في ظله مستلب الإرادة والحرية والكرامة ، وقيمته في كونه عبداً لسيده يفعل فيه ما يشاء ولا يعلم إي شئ عما يدور حوله ، وهذه السلطة (عبارة آخرى عن الربوبية والإلوهية)[٧٥]. فقد خطب عتبة بن ابي سفيان وكان واليا على مصر لمعاوية قائلا : (اما اذا أبيتم الا الطعن على الامراء ، والعتب على السلف والخلفاء ، فو الله لا قطعن بطون السياط على ظهوركم ، فان حسمت مستشرى دائكم ، والا فالسيف من ورائكم) ([٧٦]) يبدو ان المقصود بالسلف هو عثمان اذ انهم كانوا يعاقبون على من شتم عثمان فقط اما هم فقد كانوا يسبون الامام علي (ع) على المنابر ويأمرون عمالهم بذلك ، ولعل ما يؤيد ذلك تهديد عتبة في خطبة اخرى لاهل مصر وتوعده لهم لانهم شاركوا في الثورة على عثمان قائلا لهم : (يا اهل مصر اياكم ان تكونوا للسيف حصيدا ، فان لله فيكم ذبيحا لعثمان ، ارجوان يوليني نسكه ... فلا تصيروا الى وحشة الباطل بعد أنس الحق ، بأحياء الفتنة وأماتة السنن ، فأطأكم لله وطأة لا رمق معها ...) ([٧٧]) . هنا يبرز دور القوة والسيف في خطاب ولاة الامويين وكأن الناس رؤوس سنابل مالت الى الحصاد وهنا لابد من القول ان في دولة الاستبداد الاموي لايمكن لمعترض ان يعترض او ينتقد او يمتنع عن امر ، فذلك مرهون بدفع حياته وحرمانه الحياة التي يملكها الخليفة وولاته الذين يملكون صلاحيات العقوبات التي أقساها القتل بالسيف او تمزيق الاجساد بالسياط فمن خطبة لعتبة بن ابي سفيان يهدد بها اهل مصر وكانوا قد منعوا الخراج (فقد وليكم من يقول ويفعل ، ويفعل ويقول ، فان رددتم ردكم بيده وان استصعبتم ردكم بسيفه ...) ([٧٨]). ويستمر خطاب القوة ليطغى على كل الخطابات فلا نجد خطابا خاليا من التهديد باستعمال السوط والسيف واسكات الناس وتكميم افواههم فقد خطب عمرو بن سعيد بن العاص، وكان واليا على مكة قائلا: (يا اهل مكة: انفسكم انفسكم، وسفهائكم سفهائكم، فان معي سوطا نكالا، وسيفا وبالا ، وكل وكل منصوب على اهله) ([٧٩]) .

الناس في دولة بني أمية لا يملكون لانفسهم حيلة ، فدماءهم بيد الحكام يقتلونهم بمزاجهم ويتركونهم بمزاجهم ، ولعل ذلك المعنى تجسده خطبة الضحاك بن قيس الفهري ، الذي ولاه معاوية على الكوفة سنة (٥٥هـ – ٥٨ هـ) وخطب بالناس قائلا :(لئن لم تنتهوا عما بلغني عنكم ، لاضعن فيكم سيف زياد ، ثم لا تجدوني ضعيف السورة ـ اي ضعيف السطوة ـ ولا كليل الشفرة ، اما اني لصاحبكم الذي اغرت على بلادكم ... اعاقب من شئت ، وأعفو عمن شئت ، لقد ذعرت المخدرات في خدورهن ، وان كانت المرأة ليبكي ابنها فلا ترهبه ولا تسكته الا بذكر اسمي ، فأتقوا الله يا اهل العراق ، انا الضحاك بن بن قيس) ([٨٠]) خطاب بهذه الخطوة مخيف يرهب الابرياء يعتقد صاحبه انه يملك الرقاب وان حياة الناس بيده ان شاء عفى وان شاء عاقب لا دليل ولابينة يحتاج ، الظنة كافية ، فسيف زياد الذي قتل فيه الابرياء ، يحمله الضحاك يضعه حيث وضعه زياد فلا رحمة ولا عفو ان هو الا الانتقام والطغيان الذي اقله نزع الارواح من الابدان وتعليق الضحايا على الاعواد ، حيث يتلذذ السلطان برؤية الضحية يسيل منها الدم ، ليرضي ساديته العدوانية .

ما بعد التأسيس(العصر المرواني):

فقد استمرت دولة بني أمية سائرة على خطى معاوية في التأسيس لنظام استبدادي بعيداً عن مبادئ الشريعة الإسلامية، للحفاظ على سلطتهم، وكان امتناع شخص عن البيعة للخليفة يعد جريمة يحاسب عليها صاحبها بالقتل، فقد قتل مروان بن الحكم (٦٤هـ٦٥هـ/٦٨٤م .٦٨٥م) ثمانين رجلاً من آل المعافر[٨١] بعد دخوله مصر عام(٦٥هـ/٦٨٥م) لانهم أبوا ان يبايعوه وقالوا: (انا بايعنا ابن الزبير طائعين فلمنكن لننكث بيعته) فقدمهم رجلاً رجلاً وضرب أعناقهم[٨٢] .

ويبدو ان المشاركة في الثورة ضد عثمان (ﷺ) ظلت جناية يحاسب عليها خلفاء بني أمية ويقتلون على أساسها ، وأحيانا يتخذونها حجة لتبرير سياستهم اتجاه شخص ما . فقد قتل مروان بن الحكم الاكدر بن حمام[٨٣] ، وكان سبب قتله انه ممن سار إلى عثمان[٨٤] .

وان الاعتراض على الوالي ومخاشنته في الكلام تعد واحدة من الجنايات التي يحاسب عليها الخلفاء والولاة حتى ان عبد العزيز بن مروان عندما كان والياً لآبيه على مصر ، وضع حرساً بلغ عددهم ثلاثمئة من الجند يقفون على بابه ، فاذا أغلظ رجل لعبد العزيز وخرج ، تناولوه بالضرب ، ثم حبسوه[٨٥] .

ثم جاء عهد عبد الملك بن مروان (٦٥هـ .٨٦هـ /٦٨٥م . ٧٠٥م) ليمثل عهد الاستبداد في التسلط على رقاب الناس في دولة ما فتأت شعلتها تنتشر لبسط العدل وتحقيق المساواة بين الناس ،فجاء عهده ليكمل سقي بذور الاستبداد التي بذرها بني أمية الذين سبقوه من تجاوز على العقوبة ، وسلب الإرادة وكتم الانفاس ،ولقد ابتدأ عبد الملك عهده بنظام استبدادي لا يعرف الا القتل (إلا واني أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم)[٨٦]

كان الإرهاب سمة من سمات عصر الأمويين ومظهر من مظاهر سياستهم حتى يندر ان ندرس عهد خليفة لا نجد له تجاوزا على العقوبات فرضها على الأبرياء ، فعبد الملك بن مروان يكتب لعامله الحجاج : (فاذا رابك من أهل العراق ريب فاقتل أدناهم يرعب منك أقصاهم والسلام)[٨٧] .

وهذا الخطاب يكاد يكون خطابا موحدا عند جميع الخلفاء ، فمنهم من صرح به علانية ومنهم من عمل به فعلا وسلوكا . فقد سار الحجاج على سيرة سلفه زياد بن أبيه في ولاية العراق ، وكان يحظر التجوال ليلا ، فامسك الشرطة برجل ليلا فاتوا به الحجاج صباحا ، وسأله عن سبب خروجه فبرر الرجل خروجه وكان مضطرا لذلك ، فقال الحجاج للسياف اضرب عنقه [٨٨]

ان الحجاج يطرح قاعدة عامة يجتهد فيها ويحدد مدى صلاحيات الوالي في الرعية فيقول : (العاصي يجمع خلالاً ، يخل بمركزه ويعصي أميره ، ويغر بالمسلمين ، وهو أجير لهم ، وانما يأخذ الأجرة لما يعمل والوالي مخير فيه ان شاء قتل ،وان شاء عفا)[٨٩].

وهذا لا ينسجم مطلقاً مع تقييدات الشريعة في قتل الناس الذي لا يسوغه الشرع الإسلامي إلا في حدود معينة اغلبها القصاص .

وذكر ان الخليفة عبد الملك سأل الحجاج يوماً (كيف تسير بالناس ؟ قال : انظر إلى عجوز أدركت زياد ، فأسألها عن سيرته فأعمل بها) فأخذ والله بسنته حتى ما ترك منها شيئاً [٩٠] .

وقد سار الحجاج بسيرة زياد ، فقد منع التجوال في الكوفة ، وفرض أقسى العقوبات بحق الذين يخالفون أوامره بالخروج ليلاً (وقد نادي المنادي ان لا يخرج احد بالليل) دون الأخذ بنظر الاعتبار الحالات الطارئة التي قد تجبر الانسان على الخروج ، فقد امسك عسس الحجاج ثلاثة أشخاص كانوا قد خرجوا ليلاً وتم عرضهم عليه

صباحاً فسأل الأول عن سبب خروجه فقال : (كنت سكران فغلبني السكر وخرجت ولا أعقل) فخلى سبيله ، ثم سأل الثاني فقال : (كنت مع قوم في مجلس يشربون ووقع بينهم شجار فخفت على نفسي فخرجت) . فأطلق سراحه ، ثم سأل الثالث فقال : (ان لي أماً عجوز وانا رجل حمال فرجعت إلى بيتي فوجدتها لم تذق طعاماً قط فخرجت اطلب لها ذلك ، فأمسك العسس بي) . فقال الحجاج للسياف اضرب عنقه[٩١] . ومنع الحجاج حرية الاجتماع وفرض لها عقوبة القتل فقد قال : (إلا وأياي وهذه الشقف والزرافات فاني لا أجد احداً من الجالسين في زرافة إلا ضربت عنقه)[٩٢] وقال ابن عساكر[٩٣] (والزرافات الجماعات نهاهم ان يجتمعوا) .

وليس ثمة ما يدعو إلى الوقوف طويلاً مع الحجاج وهو المعروف بجبروته وشراسته وقسوته ، وطاعته العمياء لبني أمية ، حتى في مخالفة أوامر الله وعصيانها أمام إطاعة عبد الملك والوليد ، اللذان منحاه صلاحيات واسعة في القتل والاستبداد والتسلط على رقاب الناس . كيف لا يفعل ذلك ، وهو الذي ثبت ملك بني أمية بسيفه ، وهو القائل : (ان أمير المؤمنين ـ عبد الملك ـ قلدني عليكم سوطاً وسيفاً ، فسقط السوط وبقي السيف)[٩٤] . فقد كان القتل اقل العقوبات التي مارسها الحجاج بحق الناس وإزهاق أرواحهم ، بمجرد ان يتأخر الشخص عن تنفيذ أمر أو يخالف ما يطلب منه فقد قال الحجاج : (والله لا أمر احداً ان يخرج من باب من أبواب المسجد ، فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه)[٩٥] ، انه إلغاء كامل لآدمية الانسان ، فلا كلام ولا نقاش ولا اعتراض ، ولا سؤال ولا استفسار ، بل طاعة عمياء خرساء أسوء من طاعة العبيد وهي نفسها التي كان يريدها عبد الملك ، فكان ولاته إفرازا طبيعياً له . حتى قيل : (ما بقيت لله حرمة إلا وقد انتهكها الحجاج)[٩٦] .

فقد كان الحجاج في سياسته لا يميز بين المذنب والبريء فكلهم في نظره متهمين ويمكن ان تطالهم العقوبة ، بغض النظر عن مكانتهم في المجتمع الإسلامي . فقد كان يختم على أعناق الصحابة في المدينة يريد بذلك إذلالهم [٩٧] .

ومن طريف ما يذكر ، لما هلك الحجاج ، ولي الوليد بن عبد الملك مكانه يزيد بن أبي مسلم[٩٨] ، فكان مثله في الظلم والجور ، فلما استخلف سليمان ، استدعاه ، فلما نظر إليه احتقره وكان دميماً ،فقال له سليمان : (أترى صاحبك الحجاج يهوى بعد في نار جهنم ، ام قد استقر في قعرها ؟ فقال يزيد : لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين،فان الحجاج يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك وعن شمال أخيك ،فضعه حيث شئت)[٩٩] .

ويدفعنا الخبر بإلحاح إلى القول ، ان يزيد بن أبي مسلم أراد ان يذكر لسليمان ان الحجاج كان يحكم بصلاحيات منحها إياه عبد الملك والوليد من بعده ، وان ما أصاب الأمة من الحجاج فذلك جراء تلك الصلاحيات الممنوحة له ، والتي سلطته على رقاب الناس ، حتى اذلها لجبروته وطغيانه . حتى كان يقول : (اني ـ والله ـ لا اعلم على وجه الأرض خلقاً هو أجرأ على دم مني)[١٠٠] .

والواضح في ثقافة الحكام لا فرق بين الحاكم والدولة فالحاكم يعني الدولة،ومفهوم الدولة[١٠١] ينصهر في شخص الحاكم ، فالخارج على الحاكم خارج على الدولة ومرتكب خيانة عظمى ، فعلى الجميع قبول الحاكم (وان كان فاسقاً)[١٠٢] وينهج الكواكبي[١٠٣] نهجاً مختلفاً عن ذلك فيقول : (على الرعية ان تعرف ما هو الخير وما هو الشر فتلجئ حاكمها للخير رغم طبعه) . ويضيف (فالمستبد : يتجاوز الحد ما لم ير حاجزاً من حديد فلو راى الظالم على جنب المظلوم سيفاً لما أقدم على الظلم ، ويقال :الاستعداد للحرب يمنع الحرب)[١٠٤] .

ولم تختلف عهود بني أمية في إتباع سياسة الاستبداد والطغيان والتجاوز بحق الناس فسليمان بن عبد الملك (٩٦هـ ـ٩٩هـ/٧١٥م ـ٧١٧م) لم يختلف عن غيره في طغيانه وجبروته اذ سمع رجلاً يغني ، فطلب إحضاره فقال له (ما حملك على الغناء وأنت بالقرب مني وبجانبي حرمي) ثم أمر به فجب ذكره [١٠٥] . وجئ إلى واليه وكيع

بن حسان بن أبي الأسود[١٠٦] ، بسكران فأمر به فقتل فقيل له : (ليس عليه القتل وانما عليه الحد ، فقال : انا لا أعاقب بالسياط ،وانما أعاقب بالسيف) [١٠٧] .

أما خالد القسري[١٠٨] والذي كان والياً لهشام بن عبد الملك (١٠٥هـ .١٢٥هـ /٧٢٤م .٧٤٣م) فقد قام خطيباً على منبر الكوفة سنة (١٢٠هـ / ٧٤٨م) فقال في نهاية خطبته : (أيها الناس اذهبوا وضحوا بضحاياكم ، تقبل الله منا ومنكم ، أما انا فاني مضح اليوم بالجعد بن درهم [١٠٩] ، فانه يقول ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ خليلا ! تعالى الله عما يقول علواً كبيراً) ثم نزل واستل سكيناً وذبحه أسفل المنبر [١١٠] . وكانت جريمته المعلنة للناس نفي الصفات عن الله عز وجل ، وأيا ما كان موقفنا من رأي (الجعد بن درهم) فلا أظن احداً يوافق على ان يكون فكره مبرراً لان يذبح أسفل المنبر ،وان يضحى به كما يضحي بالشاه ،ومن هنا فانك تجد من الباحثين ما يشبه الإجماع على ان ذبح الجعد كان لأسباب سياسية ، ارتدت كالمعتاد زي التدين الزائف[١١١] .

وبنفس التهمة اعدم غيلان الدمشقي[١١٢] من قبل الخليفة نفسه وصلب بباب دمشق وكان غيلان ممن يقول بالقدر[١١٣] .

والجدير بالذكر ان السلطة الأموية من عصر معاوية إلى آخر حكامها كانت تروج فكرة الجبر وتتهم من يقول بالاختيار وتطبق بحقهم سياسة الإرهاب والقمع ، وتنكل بهم اشد تنكيل والغاية من إشاعة هذه الفكرة انها أرادت ان تخلق مبررات لتصرفاتهم الوحشية وانهماكهم في الملذات والشهوات واستئثارهم بالفئ إلى غير ذلك من جرائم الأعمال ومساوئها[١١٤]، وان الأمويين هم الذين ثبتوا هذه الفكرة في اذهان بعض أتباعهم ومريديهم ثم احتضنوها وعملوا على نشرها وترويجها وحمايتها ، لانها ترفع عنهم أمام الناس وزر ما يرتكبوه من موبقات ، ولأيهام الناس بان المنكرات والموبقات التي يأتون بها انهم مجبورون على إتيانها ولا اختيار لهم فيها . لذلك قتلوا من يقولوا بمبدأ الاختيار فقتل غيلان كان واحداً من أسبابه القول بالاختيار ، أما السبب الآخر الذي يذكر ان عمر بن عبد العزيز استتابه عن هذا القول فتاب فعينه وكيلاً لبيع خزائن ملوك أسلافه الأمويين وكان يكثر من سبهم والتشهير بمخازيهم وبالمنكرات التي يرتكبونها فأضمرها له هشام ابن عبد الملك ولما تمكن منه في أيام خلافته قطع يديه ورجليه[١١٥]

الحاكم المستبد يفتقر إلى الشرعية دائماً ، ولا يستطيع ان يخلق مناخاً صالحاً لتفاعل الشعب معه ، والأمة تعي جيداً ان شرعيته تكمن وراء قوته ، ويستعين بكافة وسائل العنف لتثبيت عرشه ، فلا يستطيع المستبد ان يوفر لشعبه القدر اللازم من الحرية ، لان حرية الشعب تعني رفض الاستبداد ، ومن ثم التمرد على إرادة السلطان[١١٦] . لذلك لا يسمح الحاكم بالتجاوز عليه ، فشتم الحاكم ، جناية كبرى في عرف السلطة ، لا يمكن السكوت عنها ، والتساهل فيها ، وليس حالها حال الجنايات الأخرى التي يعاقب عليها بالتعزير ، بل هي من الجنايات التي تستدعي إيجاد عقوبة لصاحبها تؤدي به إلى التلف ، كي لا يتمادى غيره إلى مثلها . فقد اخذ مروان الجعدي حبشياً كان يشتمه ، فقطع ذكره ، وجدع انفه ، ومثل به[١١٧] .

ولعل من الواضح جداً ان الناس كانت تنظر إلى حكام بني أمية حكام مستبدون وتتطلع للخلاص منهم ، وهذا نستطيع تلمسه بصورة واضحة عندما سقطت دولة بني أمية وفر آخر خلفائها (مروان الحمار) فكان مهزوماً وينتقل من بلد إلى بلد ، وكلما وصل إلى مكان لقيه أهله شر لقاء[١١٨] .

لاشك في ان علة السلطة الاستبداد ، فالمستبد ، يعتقد دائما (ان الناس جميعا يودون الإطاحة به)[١١٩] فتنعدم الثقة بالجميع .

وذكر أحد الباحثين ضمن حديثه عن الخلافة الإسلامية (... كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام وعلى المسلمين ، وينبوع شر وفساد)[١٢٠]. ويضيف إلى قوله:(اذا كانت في هذه الحياة الدنيا شيء يدفع المرء إلى الاستبداد والظلم، ويسهل عليه العدوان والبغي ، فذلك هو مقام الخليفة ، وقد رأيت انه أشهى ما تتعلق به النفوس ، واهم ما تغار عليه ، واذا اجتمع الحب البالغ والغيرة الشديدة ، وأمدتهما القوة الغالبة ، فلا شيء إلا العسف ولا حكم إلا السيف)[١٢١]

انقسم موقف الفقهاء اتجاه استبداد السلطة، على موقفين : فمن الفقهاء من وقف ضد الظاهرة الاستبدادية حتى تعرض للاضطهاد والتعذيب وربما القتل ، ومن الفقهاء من كرس حياته لشرعنة الاستبداد وبلورة نظرية في الفقه السلطاني، لذلك ليس من الغريب ان نجد الفقه السياسي الإسلامي فقهاً سلطانياً على مر التاريخ ، لانه ولد في أحضان الاستبداد ، ووضع أساسا لشرعنة ممارسات السلطان وحكمه ، الذي ترفضه قيم السماء والفطرة السليمة [١٢٢] . فقد قال الرسول الله (ﷺ): (صنفان من أمتي اذا صلحا صلحت أمتي ، واذا فسدا فسدت أمتي ، قيل: ومن هم ؟ قال (ﷺ) العلماء والأمراء)[١٢٣] .

الهوامش

١ – ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج١ ، ص١٠٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، جج٣ ، ص٨١ .
٢ – ابن السكيت ، ترتيب اصلاح المنطق ، ص٤٧ .
٣ – الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص٥٧٥ .
٤ – ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج١ ، ص١٠٥ .
٥ –الامام علي (ع) ، نهج البلاغة ، تحقيق محمد عبده ، ج٤ ، ص٤١ .
٦ – الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، ص١٥ .
٧ – المصدر نفسه .
٨. أبو رأس ، د.محمد الشافي ، نظم الحكم المعاصرة ، عالم الكتب (القاهرة ، د . ت) ص٣١٨ .
٩ . عمارة ، الإسلام وحقوق الانسان ، ص٣٠ .
١٠ . سورة النساء /٥٨ .
١١ . عمارة ، د. محمد ، الإسلام وحقوق الانسان ، عالم المعرفة (الكويت ، ١٩٧٨م) ص٥٢ .
١٢ . ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٥ ، ص١٦٠ ؛ مسلم ، صحيح ، ج٨ ، ص١٨ .
١٣ . عمارة ، الإسلام وحقوق الانسان ، ص٥٣ .
١٤ . سورة النساء /١٤٨ .
١٥. سورة المائدة/٤٩.
١٦. سورة المائدة /٤٤.
١٧. سمرة الجاثية /١٨.
١٨. مسلم ،صحيح مسلم،ج٦،ص٧، البيهقي، السنن الكبرى،ج٩،ص٤٣ ؛ الخرميتي، محمود إسماعيل(ت بعد ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ،الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، مكتبة نزار مصطفى الباز(الرياض١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ج١،ص١٤٣ .
١٩– ابن حنبل، مسند احمد ، ج٣،ص٥٥ ؛ البيهقي ،السنن الكبرى ، ج١٠،ص٨٨؛ الخرميتي ، الدرة الغراء ، ج١،ص١٤٣.
٢٠. ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج٢ ، ص٩٥٥.

٢١. المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٩٥٧ .

٢٢ . الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك ، موسسة الاعلمي (بيروت ، د.ت) ج٢ ، ص٤٥٠ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٧ ،ص١٥٩ .

٢٣. السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة (مصر ١٣٧١هـ/١٩٥٢) ص١٣٩ .

٢٤. االباقلاني ، أبو بكر محمد بن الخطيب (ت٤٠٣هـ) تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل ، تحق عماد الدين احمد حيدر مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت ١٤١٤هـ /١٩٩٣م) ص٥٠١ .

٢٥. المصدر نفسه ص٤٩٩ .

٢٦ . ابن حنبل ،مسند احمد ،ج١ ،ص٤١ ؛أبو داود ،سنن أبي داود ،ج٢،ص٣٧٦ ؛الحاكم النيسابوري، المستدرك ،ج٤ ، ص٤٣٩ ؛ ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية (المدينة المنورة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) ص١٣٠ .

٢٧. الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج٣ ،ص٢٩٣ .

٢٨ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٦٢ .

٢٩ . رسالة في بني أمية ، ص٩٤.٩٣ .

٣٠ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٩ ، ص٥٣ .

٣١ . المقريزي النزاع والتخاصم ، ص٥٧ .

٣٢ . المقريزي ،تقي الدين أبي العباس احمد (ت ٨٤٥هـ) السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ج١ ، ص١٠٩ .

٣٣. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) رسالة في بني أمية (ملحق بكتاب النزاع والتخاصم) مكتبة الأهرام (مصر .د.ت) ص٩٤ .

٣٤ . المصدر نفسة ، ص٩٤ .

٣٥ . حجر بن عدي، ابن جبلة بن عدي بن ربيعة الكندي، من أهل الكوفة صحابياً شهد القادسية وهو الذي افتتح مرج عذراء، كان من أصحاب علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشهد معه المشاهد كلها قتل صبراً في مرج عذراء بأمر معاوية. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦٠، ص٢١٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٢، ص٢٠٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة ،ج٤، ص١٠٠.

٣٦. ابن عبد ربه ،احمد بن محمد الاندلسي (ت٣٢٨هـ) العقد الفريد ، دار أحياء التراث العربي (بيروت ١٤٢٠ /١٩٩٩م) ط٣، ج٤ ،ص٧٥. ٧٦ .

٣٧. ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج٤ ،ص٧٦ .

٣٨ . ابن شبيه ، المصنف ،ج٧ ، ص٢٥١ ؛أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) مقاتل الطالبين، المكتبة الحيدرية (النجف ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م) ص٤٥ .

٣٩ – الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٨٨

٤٠ . سفيان بن عوف الاسلمي أو الغامدي ، كان من أنصار معاوية أغار على هيت والانبار في زمن الإمام علي(عليه السلام) وقد استعمله معاوية على الصوائف مات سنة (٥٣هـ /٦٧٣م) ينظر ابن حجر العسقلاني، الإصابة ، ج٣ ،ص١٠٦ .

٤١. ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج٢، ص٨٦ .

٤٢. بسر بن ارطأة . وقيل ابن أبي ارطأة من بني مالك بن النضر بن كنانة ، من شيعة معاوية بعثه بجيش كثيف إلى الحجاز واليمن سنة (٤٠هـ /٦٦٠م) ليغير على أعمال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وكان سفاكاً للدماء؛ ابن عساكر ،

تاريخ مدينة دمشق ، ج١٠ ، ص١٤٤ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج٢ ، ص٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ،ج١ ، ص٤٢١ .

٤٣. اليعقوبي ،تاريخ ،ج٢، ص١٣٧ ؛ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٢ ،ص٧ .

٤٤. ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج٢ ،ص٧ .

٤٥ . شرح نهج البلاغة ، ج٢ ،ص٦ .

٤٦ . الثقفي ، الغارات ، ج٢ ، ص٥٩٨ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٢ ، ص٦ .

٤٧ . ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص٨٩٥ .

٤٨ . شرح نهج البلاغة ، ج١ ، ص٣٤٠ .

٤٩ . اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٣٧؛ الثقفي، الغارات، ج٢، ص٥٩٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٦ .

٥٠ . الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص١٠٧ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٨٤؛ أسد الغابة، ج١، ص٣٨٥ .

٥١ .ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١ ، ص١٦٠ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٨٠ .

٥٢ . ابن أبي شيبة ،المصنف ، ج٨ ، ص٦٧٢ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١ ، ص١٦١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ١٠ ، ص٨١ .

٥٣ . ابن جماعة ، محمد بن شرف الدين عبد العزيز بن محمد (ت٨١٩هـ) ، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحق ، فؤاد عبد المنعم دار الثقافة (قطر ،١٤٠٨هـ /١٩٨٨م) ط٣ ،ج١ ،ص٦٦.٦٧ .

٥٤ – الحناشي ، السلطة والعنف ، ص٨ .

٥٥– المقريزي ، النزاع والتخاصم ، ص٧١ .

٥٦ – امام ، الطاغية ، ص١٦٧ –١٦٨ .

٥٧ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٣١ .

٥٨ – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٨٧ .

٥٩ – الحناشي ، السلطة والعنف ، ص٨ .

٦٠. البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٢ ، ص١٧٣

٦١. ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج١ ،ص٢٧٩ .

٦٢. المحاسن والأضداد ، ص٦٧ .

٦٣ . الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص١٦٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٤٤٨ .

٦٤ . ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)، غريب الحديث، تحق، عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٢٣٤؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٧٥؛ ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٤، ص٣٠٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص١٨٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٤٨؛ ابن أبي الحديد، ج١٦، ص٢٠١.

٦٥ . ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٩ ، ص١٨٠ ؛ ابن الأثير ، ج٣ ، ص٤٦٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٦ ، ص٤ .

٦٦ . البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٥ ، ص٢٠٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص١٦٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ج٣ ، ص٤٥٠ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٦ ، ص٢٠٢.

٦٧ . البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص٢٠٦؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣،ص٤٥٠

٦٨ . البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص٢٠٧، الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٥٠ .

٦٩ . سمرة بن جندب بن هلال الفزاري ، سكن البصرة وكان زياد يستخلفه عليها ولما مات زياد اقره معاوية عليها سنة أو نحوه ، ثم عزله وكان موته سنة(٥٨هـ) . ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٦٥٤.

٧٠ . المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي ، عرف بالدهاء ، أدرك رسول الله ، عينه عمر على الكوفة واقره عليها عثمان ، اعتزل صفين ، والتحق بمعاوية بعد التحكيم ، وولاه الكوفة بعد صلح الحسن ، مات سنة(٥٠هـ) . ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٤٤٥ .

٧١ . البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص٢٢٠؛ الطبري، ج٤، ص١٧٦؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٤٦٢ .

٧٢ . أبو السوار العدوي : قيل اسمه حسان بن حريث وقيل بالعكس وهو من علماء البصرة . ابن حبان، أبي حاتم محمد بن حبان التميمي ألبستي (٣٥٤هـ/٩٦٥م) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، دار الوفاء (المنصورة ، ١٤١١هـ) ، ص١٥٤ . ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب، ج١٢ ، ص١١٠ .

٧٣ . البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص٢٢٠؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٧٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٦٢ .

٧٤ . البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٥ ، ص٢٢٠ .

٧٥ . الكواكبي عبد الرحمن (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، دار الشرق العربي (بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ط٣ ، ص١٥١ ؛ الغرباوي ، ماجد ، مقومات المشروع الاصلاحي للشيخ النائيني ، مجلة المنهاج ، العدد/ ١٥ (بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، ص٢٣٦ .

٧٦ – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ٢٢٢ .

٧٧ – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص٢٢٢ .

٧٨ – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص٢٢٢ .

٧٩ – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص٢٢٠ .

٨٠ – ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٢ ، ص١٢١ .

٨١ . آل المعافر : بني يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد وهم من القبائل القحطانية وعامتهم في مصر. ابن الأثير، عز الدين الجزري (٦٣٠هـ) اللباب في تهذيب الانساب ، دار صادر (بيروت . د . ت)، ج٣ ، ص٢٢٩ .

٨٢ . الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف (٣٥٠هـ) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح ، زمن كست ، مطبعة الآبا اليسوعيين (بيروت ،١٩٠٨) ص٤٥

٨٣ . الاكدر بن حمام، بن عامر بن صعب، وكان سيد لخم وشيخها، حضر فتح مصر هو وأبوه؛ الكندي، كتاب الولاة، ص٤٥ .

٨٤. المصدر نفسه ، ص٤٥ .

٨٥. المصدر نفسه ، ص٤٩ .

٨٦. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٧، ص١٣٥ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) تاريخ الإسلام ، تحق د . عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي (بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ،ج٥ ، ص٣٢٥؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج٩ ، ص٧٧ .

٨٧ . البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٧ ، ص٢٩٢ .
٨٨ . الجاحظ ، المحاسن والأضداد ، ص٦٨ .
٨٩. المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٨٤ .
٩٠ . الجاحظ ، المحاسن والأضداد ، ص٦٧.
٩١. المصدر نفسه ، ص٦٧.
٩٢ . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،ج٢ ،ص١٣٤ .
٩٣ . المصدر نفسه ،ج١٢ ،ص١٣٩ .
٩٤ . اليعقوبي ، تاريخ ،ج٢ ، ص ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ،ص٢١٨ . ٢١٩ .
٩٥ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج١ ، ص٢٧٩ .
٩٦ . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٢ ،ص١٨٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،ج٦ ،ص٣٢٤ ؛ المقريزي ، إمتاع الإسماع ،ج١٢ ، ص٢٥٨ .
٩٧ . الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص٣٥ .
٩٨ . أبو العلاء الثقفي مولى الحجاج بن يوسف كان كاتبا له ثم ولاه يزيد بن عبد الملك على افريقية ، وكان من القساة عرف عنه تعذيبه للناس . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦٥ ، ص٣٨٨ . ٣٩٠ .
٩٩. ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٦ ،ص٣٠٩ .٣١٠ ؛ ألصفدي ، الوافي بالوفيات ،ج٢٨ ،ص٣٩ .
١٠٠. ابن سعد ، الطبقات ،ج٦ ،ص٩٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،ج٢٢ ،ص١٨١ .
١٠١ . الدولة : هي عبارة عن رقعة من الأرض موحدة ومنظمة سياسياً ومسكونة من قبل سكان أصليين له حكومة وطنية ذات سيادة على جميع أطراف الدولة ولديها القوة الكافية لحماية الدولة . بندقجي ، حسين حمزة ، الدولة ، مكتبة الانجلو مصرية (مصر ، ١٩٧٥ م) ط٢ ، ج١ ، ص١٢ .
١٠٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٤٥ .
١٠٣ . طبائع الاستبداد ، ص٢٧ .
١٠٤ . المصدر نفسه .
١٠٥ .الطبري ، تاريخ ،ج٦ ،ص٤٢٩
١٠٦. كان والياً على خراسان في أول خلافة سليمان بن عبد الملك وهو الذي قتل قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان للوليد ثم عزل عنها بعد ذلك انظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ،ص٢٢٣ .
١٠٧. الطبري ، تاريخ ،ج٥ ،ص٢٨٣
١٠٨. خالد القسري : خالد بن عبد الله بن أسد القسري ولي مكة سنة (٨٩هـ)ولم يزل والياً فيها حتى مات الوليد ،وأقره سليمان بن عبد الملك عليها ثم عزله ،وفي سنة (١٠٦هـ) ولاه هشام العراق وظل فيها إلى سنة (١٢٠هـ)اذ عزله وولى بدلاً عنه يوسف بن عمر الذي اشرف على عذابه وقتله ؛ابن عساكر ،تاريخ مدينة دمشق ،ج١٦ ،ص٢٨١ الجعد بن الدرهم : مؤدب مروان بن محمد (الملقب بالحمار) لذلك لقب بالجعدي ، وهو ممن نفي الصفات . وقال المدائني كان زنديقاً ، ثم لم يلبث ان صلب ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج٥ ،ص٤٣٣ .
١١٠ . البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) التاريخ الكبير(تركيا ،د . ت) ج١ ،ص٦٤ ؛البيهقي، السنن ،ج١ ،ص٢٠٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج١٠ ،ص٢١ .
١١١ . إمام ، عبد الفتاح إمام ، الطاغية ، عالم المعرفة (الكويت ،١٩٩٤م) ص١٧٨ .

١١٢ . غيلان الدمشقي : يكنى أبا مروان ، كاتب من البلغاء وهو قبطي قدري إليه تنتسب فرقة الغيلانة ، وهو أول من تكلم بالقدر ودعا إليه ولم يسبقه إليه سوى معبد الجهني ؛ ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ،ص٤٨٤ .

١١٣ . ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ،ص٤٨٤ .

١١٤ . السبحاني ، جعفر ، الإلهيات ، الدار الإسلامية (بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص٦٠٤ .

١١٥. ابن خياط ، الانتصار ،ص١٣٩ ، نقلاً عن الحسني ، هاشم معروف ، دراسات في الحديث والمحدثين ، دار المعارف (بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ط٢ ،ص٣٤٣ .

١١٦ . الغرباوي ، مقومات المشروع الاصلاحي ، ص٢٣٠ .

١١٧ . الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص٣٢٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٣٣٣ .

١١٨ . ابو حنيفة الدينوري ، الأخبار الطوال ،ص٣٦٥ .٣٦٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٤١ ,

١١٩ . إمام الطاغية ، ص١٢٢ . ١٢٣ .

١٢٠ . عبد الرازق ، علي ، نصوص حول الإسلام وأصول الحكم والخلافة في الإسلام (ضمن كتاب الدولة والخلافة في الخطاب العربي ، دراسة وتعليق كوثر ابي وجيه ، دار الطليعة (بيروت . د . ت) ، ص١٧١ .

١٢١ . عبد الرازق ، نصوص حول الاسلام ، ص١٦٧ .

١٢٢ . الغرباوي ، مقومات المشروع الإصلاحي ، ص٢٢٣. ٢٢٤ .

١٢٣ . الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) الخصال ، تحق علي اكبر غفاري (قم ، ١٤٠٤هـ) ط٢ ، ص٥٠ .

قائمة المصادر

اولا : المصادر القديمة

القرآن الكريم

- ابن الأثير ، عز الدين ابن الحسن بن أبي كرم (ت٦٣٠هـ) .

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الكتاب العربي (بيروت ، د . ت) .

٢. الكامل في التاريخ ، دار صادر (بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) .

٣. اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر (بيروت ، د . ت) .

- ابن الأثير ، أبو السعادات (ت٦٠٦هـ) .

٤. النهاية في غريب الحديث ، تحق احمد الزادي ومحمود محمد الطناحي ، مؤسسة اسماعليان (قم١٣٦٤هـ) ، ط٤ .

- ابن الاعثم الكوفي ، أبو محمد احمد (ت٣١٤هـ) .

٥. كتاب الفتوح ، تحق علي شيري ، دار الاضواء (بيروت ١٤١١هـ) .

- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) .

٦. التاريخ الصغير ، تحق محمود ابراهيم زايد ، دار المعرفة (بيروت١٤٠٦هـ) .

- البلاذري ، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

٧. انساب الاشراف ، تحق سهيل زكار ، دار الفكر (بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .

- البيهقي ، أبو بكر احمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ) .

٨. السنن الكبرى ، دار الفكر (بيروت ، د . ت) .

- الثقفي ، أبو اسحاق محمد الكوفي (ت٢٨٣هـ) .

٩. الغارات ، تحقق جلال الدين المحدث (ايران ، د . ت) .

ـ الجاحظ ، أبو عثمان بن عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)
١٠. رسالة في بني امية (ملحق بكتاب النزاع والتخاصم ، مكتبة الاهرام (مصر ، د . ت)
١١. المحاسن والاضداد ، تحق علي بوم ملحم ، دار الهلال (بيروت ٢٠٠٨م) .
ـ الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) .
١٢. الصحاح ، تحق احمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين(بيروت١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ط٤ .
ـ الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ) .
١٣. المستدرك على الصحيحين ، تحق يوسف الرعشلي (بيروت ، د . ت) .
ـ ابن حجر ، أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) .
١٤. الاصابة في تميز الصحابة ، تحق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) .
ـ ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ) .
١٥. شرح نهج البلاغة ، تحق محمد أبو الفضل ابراهيم ، البابي الحلبي (مصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) .
ـ ابن حنبل ، احمد (ت٢٤١هـ) .
١٦. مسند احمد ، دار صادر (بيروت . د . ت) .
ـ ابو حنيفة الدينوري ، احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)
١٧. الاخبار الطوال ، تحق ، عبد المنعم عامر ، المكتبة الحيدرية (إيران ، ١٣٧٩هـ).
ـ الخرميتي ، محمود اسماعيل (ت بعد ٨٤٥هـ/١٤٤١م) .
١٨. الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والامراء ، مكتبة نزار مصطفى الباز(الرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .
١٩. سنن أبي داود ، دار الفكر (بيروت ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م) .
ـ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)
٢٠. تاريخ الإسلام ، تحق، محمد البجاوي ، دار المعرفة (بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
ـ ابن سعد ، محمد بن منيع (ت٢٣٠هـ) .
٢١. الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت ، د .ت) .
ـ ابن السكيت ، يعقوب بن اسحاق (ت ٢٤٤هـ) .
٢٢. ترتيب اصلاح المنطق ، الاستانة الرضوية (إيران ، ١٤١٢هـ) .
ـ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) .
٢٣. تاريخ الخلفاء ، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة (مصر،١٣٧١هـ / ١٩٥٢م) .
ـ ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد الكوفي (ت٢٣٥هـ) .
٢٤. المصنف في الاحاديث والاثار ، تحق سعيد اللحام ، دار الفكر(بيروت١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .
ـ الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) .
٢٥. الخصال ، تحق علي اكبر غفاري (قم ١٤٠٤هـ) ، ط٢
ـ الصفدي ، صلاح الدين خليل ايبك (ت٧٦٤هـ) .
٢٦. الوافي بالوفيات ، تحق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث (بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) .
ـ الطبري ، ابو جعفر بن محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) .
٢٧. تاريخ الرسل والملوك ، مؤسسة الاعلمي (بيروت . د . ت) .
ـ ابن عبد البر ، محمد بن احمد الاندلسي (ت٤٦٣هـ) .

٢٨. الاستيعاب ، تحق محمد علي محمد البجاوي ، دار الجيل (بيروت ١٤١٢هـ) .
ـ ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الاندلسي (ت٣٢٨هـ) .
٢٩. العقد الفريد ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، ط٣ .
ـ ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ) .
٣٠. تاريخ مدينة دمشق ، تحق علي شبري ، دار الفكر (بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) .
ـ الإمام علي (عليه السلام) .
٣١. نهج البلاغة ، تحق محمد عبدة ، دار المعرفة (بيروت ، ١٤١٢هـ) .
ـ ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) .
٣٢. مقاتل الطالبين ، المكتبة الحيدرية (النجف ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) .
ـ ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد بن عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) .
٣٣. غريب الحديث ، تحق عبد الجبوري ، دار الكتب العلمية (بيروت١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)
٣٤. المعارف ، تحق ثروت عكاشة ، دار المعارف (القاهرة . د . ت) .
ـ ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) .
٣٥. البداية والنهاية ، تحق، علي شيري ، دار التراث العربي (بيروت ، ١٩٠٨م) .
ـ الكندي ، ابو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ) .
٣٦. كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحق ، رفن كست ، مطبعة الابا اليسوعيين (بيروت ، ١٩٠٨م) .
ـ ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ) .
٣٧. سنن ابن ماجه ، تحق محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، د . ت) .
ـ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) .
٣٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحق امير مهنا ، مؤسسة الاعلمي(بيروت١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) .
ـ مسلم ، ابو الحسن مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ) .
٣٩. صحيح مسلم ، دار الفكر (بيروت . د . ت) .
ـ المقريزي ، تقي الدين احمد بن عبد القادر بن محمد (ت٨٤٥هـ) .
٤٠. امتاع الاسماع ،تحق محمد عبد الحميد النمسي ، دار الكتب العلمية (بيروت١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) .
٤١. السلوك في معرفة دول الملوك ، تحق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت١٤١٨هـ/١٩٩٧م) .
٤٢. النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم ، مكتبة الاهرام (مصر . د . ت) .
ـ اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر (ت٢٩٢هـ) .
٤٣. تاريخ اليعقوبي ، دار الاعتصام (إيران ١٤٢٥هـ) .

ثانيا المراجع العربية والمعربة :

ـ امام ، عبد الفتاح امام
٤٤. الطاغية ، عالم المعرفة (الكويت ، ١٩٩٤م)
ـ بندقجي ، حسين حمزه .
٤٥. الدولة ، مكتبة الانجلو مصرية (مصر ، ١٩٧٥م) ط٢ .
ـ ابو راس ، د . محمد الشافعي .
٤٦. نظم الحكم المعاصرة ، عالم الكتب (القاهرة . د . ت) .
ـ السبحاني ، جعفر .

٤٧. الالهيات ، دار الإسلامية (بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .
ـ علي ، عبد الرازق .
٤٨. نصوص حول الإسلام وأصول الحكم والخلافة في الإسلام دراسة وتعليق كوثراني وجيه ، دار الطليعة (بيروت د . ت)
ـ عمارة ، د . محمد .
٤٩. الإسلام وحقوق الإنسان ١٢٣، عالم المعرفة (الكويت١٩٧٨م) .
ـ الغرباوي ، ماجد .
٥٠. مقومات المشروع الإصلاحي للشيخ النائيني ، مجلة المنهاج ، العدد / ١٥ (بيروت ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) .